دراسة مقارنة في آراء العلامة الطباطبائي والعلامة فضل الله حول تفسير قوله تعالى ﴿بِغَيرِ حِسَابٍ﴾

الدكتور محمد أكبري (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد، كلية العلوم القرآنية، جامعة العلوم و المعارف القرآنية، قم، إيران
m.akbari313@gmail.com
بهزاد جلالوند
طالب دكتوراه في التفسير المقارن، جامعة العلوم والمعارف القرآنية، قم، إيران
Bjalalvand@gmail.com
حامد عشريه
متخرج من المستوى الرابع في الحوزة العلمية في قم، إيران
Fada1404@gmail.com

A comparative study of the views of Allamah Tabatabai and Allamah Fadlallah on the interpretation of the Almighty's saying, "without account"

Dr. Mohammad Akbari(Responsible Author)
Assistant Professor , Faculty of Quranic Sciences , University of Quranic Sciences and Knowledge , Qom , Iran
Behzad Jalalvand
PhD student in Comparative Interpretation , University of Quranic Sciences and Knowledge , Qom , Iran
Hamed Oshriyeh
Graduate of the fourth level of the religious seminary in Qom , Iran

الملخص:-

من أهم العقائد الدينية التي تضمن تطبيق الأحكام الإلهية، ولها أثر بالغ في تربية النفس البشرية، الإيمان بالبعث وحقائقه. ومن هذه الحقائق مسألة المحاسبة ومراجعة الأعمال، التي وردت في الآيات القرآنية الكريمة بتفاسير وأوصاف مختلفة، إلا أن ما لم يُلقَ اهتمامًا يُذكر هو دراسة التفاسير التي تسبق التفاسير التي تبدو متعارضة ظاهريًا، حيث وُصف الله تعالى في موضع بأنه "سريع الحساب" وفي مواضع أخرى بأنه "المحاسب". يتناول هذا المقال هذه المسألة بشرح رأي العلامة الطباطبائي في عبارة "المحاسبة"، وطرح تفسيره في رفض الاستحقاق والتعويض، وبالمقارنة مع رأي العلامة فضل الله، قام بتحليلها، ثم حللها نقدًا وبحثًا لأدلة كلا الجانبين. وبناءً على ذلك، فإنّ التفسيرات التي تدلّ على عدم الحاجة إلى الحساب، هي لأنّ الحساب هو حالةٌ محدودةٌ، تتعطّلُ أمورُها عند ازدياد الحاجات واتّساع عطاياه. ولذلك، فإنّ جوهرَ الله الأقدسَ، المطلقَ في جوهره، والمطلقَ في غناه، لا حدودَ لملكيته.

الكلمات المفتاحية: الرزق، الاستحقاق، بلا حساب، العلامة الطباطبائي، العلامة فضل الله.

Abstract:-

One of the most important religious beliefs that guarantees the application of divine laws and has a profound impact on the development of the human soul is belief in resurrection and its truths. Among these truths is the issue of accountability and review of deeds, which is mentioned in the Holy Quran with various interpretations and descriptions. However, what has received little attention is the study of the interpretations that precede these seemingly contradictory interpretations, as God Almighty is described in one place as "Swift in Reckoning" and in other places as "The Accountant." This article addresses this issue by explaining Allamah Tabataba'i's view of the term "accountability," presenting his interpretation of the rejection of entitlement and compensation. In comparison with Allamah Fadlallah's view, it analyzes it, then critically examines and examines the evidence from both sides. Based on this, the interpretations that indicate the lack of need for accountability are that accountability is a limited state, whose affairs are disrupted when needs increase and His gifts expand. Therefore, the most holy essence of God, absolute in His essence and absolute in His richness, has no limits to His possessions.

Key words: sustenance, merit, without account, Allamah Tabataba'I, Allamah Fadlallah.

المقدمة:

موضوع هذه الدراسة هو دراسة دلالات عبارة "بغير الحساب" ومقارنة بينها في تفسير الميزان وتفسير من وحي القرآن. لذا، نتناول أولاً معنى الرواية في القرآن الكريم، ثم نذكر التفسير الذي أشار إليه العلامة في الآيات التي تتضمن هذا المعنى، ثم نحلل ونناقش، في سياق مقارنة رأي العلامة فضل الله، اعتراضاته على العلامة الراحل الطباطبائي. فيما يتعلق بخلفية هذه الدراسة، لا يسعنا إلا ذكر معنى كلٍّ من هاتين الكلمتين في تفسيرات مختلفة، معظمها كان في سياق التعبير عن المعنى الحرفي لكلٍّ منهما وفقًا لآية خاصة به. لم يُناقش الفرق بينهما كثيرًا. علاوة على ذلك، لم يُلقَ أسلوب المقارنة في تفسير هذا الجزء من الآية اهتمامًا يُذكر.

١. **نظرية العلامة الطباطبائي:** يذكر العلامة الراحل في الآية الكريمة "يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت، وتخرج الميت من الحي، وترزق من تشاء بغير حساب" أن إضافة عبارة "بغير حساب" إلى "الرزق" مردّها أن الرزق الإلهي يُقدّر بحال المرزقين، فهم ليسوا مدينين للرازق ولا استحقاق لهم فيه. بمعنى آخر، لا يتعلّق رزق الله بشيء من المخلوقات أو المستضعفين، أي أن الحاجات والرغبات الفطرية واللفظية للمخلوقات من اختصاص الله، وهو مسؤول عن إشباعها. والرزق يُلبّي هذه الحاجة عند المماليك، ويُوصف الرزق وصفًا صحيحًا بأنه بلا حساب. ولتوضيح هذا المفهوم، ونظرًا لوصف غير المسؤول عن الرزق الموصوف، فإننا في استكمال البحث في كلمة الرفيق بلا حساب، نتناول ماهية الرزق، ونوضح أوجه كونه بلا حساب عند العلامة الطباطبائي:

في مصادر اللغوي، يُفسّر على أنه القوت والقوت (معين، ١٣٦٤، تحت كلمة "رزق")، وفي مؤلفات أكثر المعجميين للرزق، يُذكر في عبارة "ما ننتفع به"؛ أي ما يمكن استخدامه (ابن منظور، ١٤١٤، المجلد ١٠: ١١٥؛ جوهري، ١٣٧٦، المجلد ٤: ١٤٨١)، أي أن منافع المرزوقين هي من أنواع الأشياء التي يحتاج إليها الجسم، بما في ذلك الطعام واللباس والشراب، وما إلى ذلك. ويُذكر بمعنى الرزق (ثانوي، ١٤٠٤، المجلد ١: ٥٨١). كما اعتبر البعض عبارة "إعطاء الوقت" مرادفة لكلمة "الرزق"، مع أنها تُستخدم أيضًا بالإضافة إلى

الوقت والزمان. في هذا التعريف، هبة الله هي "الرزق" (ابن فارس، ١٤٠٤، ج ٢: ٣٨٨)، وهو في الاصطلاح اسمٌ يُطلقه الله الرزاق على الكائنات الحية، فيستعملونه، سواءً كان معنويًا أم ماديًا، سواءً كان نصيبًا أم نصيبًا أم ما يدخل الجوف (الجرجاني، ١٤٠٨: ١١٠). إن احتكار "الرزق" ذهنيًا وفكريًا في الأمور المادية، وخاصةً الطعام والشراب، أمرٌ فيه مبالغة، لأن استعماله في الأمور الحسية أكثر شيوعًا.

يذكر القرآن الكريم عدة صفات للرزق، من أهمها:

الرزق المعلوم؛[١] ورد هذا الجمع في آية قرآنية، ويرى العلامة الطباطبائي أن معرفة الرزق إشارة إلى فضله (الطباطبائي، ١٣٧٤، المجلد ١: ٢٠٥).

الرزق الحسن؛[٢] إذا وُضع الرزق الظاهر في معنى نقيض التحريم، سمي رزقًا حسنًا؛ فقد عبّر الله تعالى عن هذا التعبير في إباحة العنب بدلًا من تحريمه (الجوادي الآملي، ١٣٨٩، المجلد ١٣: ٦١٩). وبهذا المعنى فإن مكانة الوحي والنبوة التي أعطيت للنبي شعيب عليه السلام تتلخص في رزق الحسن الذي كان في معارضة انحراف وانحراف المشركين في عصره (الطباطبائي، ١٣٧٤، ج ١٠: ٥٤٨).

الرزق الكريم؛[٣] ورد هذا التعبير ست مرات في آيات القرآن الكريم النورانية، بمعنى أي رزق ثمين، ومعناه واسعٌ جدًا، إذ يتسع لجميع نعم الله، حتى إنه لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر ببالي. باختصار، يندرج مرقد الرضوان بكل بركاته في هذا الجمع. بمعنى آخر، الرزق الكريم وصفٌ للآخرة، إذ يعتبر العلامة الطباطبائي الرزق الكريم، بمعنى النعم المميزة، وصفًا للجنة التي يرزق منها الصالحون (الطباطبائي، ١٣٧٤، المجلد ١٦: ٤٦٠؛ المجلد ١٥: ٥٥٢؛ المجلد ٩: ١٢).

الرزقُ المُفضّل[٤]؛ أي: يُفضِّل الله بعض الناس على بعض في الرزق والمعيشة والمنافع، ويكون هذا الاختلاف أحيانًا في القدر وأحيانًا في الكثرة (الطباطبائي، ١٣٧٤، ج١٢: ٤٢٦).

رزقٌ لا يُحصى؛ ولأهمية هذه الآيات العظيمة، عدّها العلامة الطباطبائي من أبرز آيات القرآن الكريم (الطباطبائي، ١٣٧٤، ج ١٩: ٥٣٠). فسِّر هذه الآية الكريمة، فأنا أخاف الله وأعرف معناها الحقيقي، فإن الله تعالى يُنجيني من شرك الأوهام وشرك الشرك. إنها لم تعد

تقتصر على الوسائل والأدوات الدنيوية، بل إنها تعطي نتائج غير متوقعة، لأنها لا تتنبأ ولا تعطي إمكانيات، بما في ذلك العوامل غير العادية وغير الدنيوية، والعوالم والآخرة (الطباطبائي، ١٩٩٥، ج ١٩: ٥٢٨ و ٥٢٩).

ورزقٌ بلا حساب؛[٥] فقد وُصف الرزق في خمس آياتٍ من القرآن الكريم بأنه بلا حساب. فبدون حساب، يكون أحيانًا بمعنى الرزق، وأحيانًا بمعنى تلقي الرزق، وأحيانًا بمعنى إعطائه. وبالطبع، فإن صيغته الأولية أقرب إلى نفس المقام الأول؛ لكن تعدد جوانب ومعاني الكلمة الإلهية من جهة، وتعدد الاحتمالات المقبولة لكل آية من جهة أخرى، يدفع المفسرين إلى أي تفسير (جوادي آملي، ٢٠١٠، المجلد ١٠: ٣٦١). والجانب الجدير بالملاحظة في تفسير الطباطبائي لهذه الاحتمالات هو أنه يفسر عدم المساءلة من جانب المزود: "إن وصف الرزق بأنه غير مسؤول يرجع إلى حقيقة أن الرزق يأتي من الله تعالى وفقًا لحالة المقدم، وليس هناك أي تبادل فيه، وليس للمقدم أي مطالبة على الله ولا أي استحقاق للرزق" (الطباطبائي، ١٩٩٥، المجلد ٣، ص ٢٢١).

ويستمر العلامة في بيانه للمعارضين أن بعضهم ظن أن هذا النقص في الحساب متعلق بحساب الرزق، ويريدون أن يقولوا إن رزق الله تعالى ورزقه غير محدود ولا حد له لمن يشاء الله، ولكن هذا المفهوم لا يتفق مع الآيات التي تشير صراحة إلى قدر الرزق والرزق، مثل الآية المباركة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾؛ أو آية أخرى تقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، ولماذا لا يكون الأمر كذلك، مع أن لكل شيء قيمة ومقداراً ومقياساً (الطباطبائي، ١٣٧٤، ج٣: ٢٢٠).

وفي بيان المسائل التي ذكرها العلامة الطباطبائي لا بد من توضيح بعض الأمور في باب الرزق المقدر وما يترتب على منع الرزق وتوسيعه:

الرزق، خصوصًا وعامًا، مكتوب ومقدر (الطباطبائي، ١٣٧٤، المجلد ٣: ٢١٩). وكما اتضح، هناك مستويات ودرجات مختلفة في هذا التحديد والمصير؛ على سبيل المثال، في رواية عن النبي الكريم، روي أنه عندما يكون الشخص في بطن أمه، يأمر الله ملكه بنفخ الروح فيه ويأمره بكتابة مصيره في أربع جهات: أولاً، عمره ووفاته، ثانيًا، أعماله، ثالثًا، رزقه، رابعًا، سعادته وشقائه (السيوطي، ١٤٠٤، المجلد ٤: ٣٤٤ والطباطبائي، ١٣٧٤، المجلد

١٤: ٤٩٩)؛ أي أنه قبل الولادة وأثناء خلق الشخص، يكون رزقه محدداً؛ وبالمثل، في ليلة القدر، التي تتكرر كل عام، يكون رزق الشخص لمدة عام محدداً ومحدداً. ولهذا السبب تُسمى ليلة القدر ليلة التقدير والتحديد. ففي تلك الليلة، يُحدد الله الرحمن ويُوقع الأحداث من تلك الليلة إلى العام المقبل؛ ويُحدد العمر ومتوسط العمر والرزق والسعادة والمشقة وكل هذه الأشياء (الطباطبائي، ١٣٧٤، المجلد ٢٠: ٥٦١). وفيما يتعلق بقضايا تحديد الرزق، تجدر الإشارة إلى أنها لا تنتهك حرية الإرادة البشرية لأن القدر الإلهي يشبه المعرفة الإلهية. فالله تعالى على علم بجميع أفعال العالم وردود أفعاله، وليس الأمر أن المعرفة الإلهية تحدث مع ظهور الأشياء؛ فهذه المعرفة من الأزل، وفي الواقع، ليس الزمن اعتباراً لله؛ لذلك، يعلم الله جميع أفعال الإنسان، على الرغم من حرية الإنسان واختياراته؛ أي أن ما يفعله الشخص في أي ساعة خارج إرادته الحرة كان معروفًا لله منذ الأزل (حُجتي ورضائي، ١٣٨٦: ١٠).

من جهة أخرى، وكما أن الرزق من الله، فإن توسعه أو انكماشه أيضًا بمشيئته ويده؛ لذا، يمكن اعتبار أحد جوانب الرزق مرتبطًا بحصوله وتوسعه. وقد فُسّرت آيات عديدة في القرآن الكريم على أنها توسعة الله وتوسعه في الرزق[٦]. ويعود سبب وحكمة توسع الرزق أو حصوله في نظر القرآن الكريم إلى مرزوق (آسياني، ١٣٨٦: ٣٨)؛ إذ يقول حضرته في الآية ٥٣ من سورة الأنفال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

٤. نقد آراء العلامة فضل الله (رحمه الله):

ولعل أقرب ما في الآية أن هذه الجملة إشارة إلى شمول رزق الله، لأن ملكه غير محدود، فهو يُعطي كل ذي حاجة مهما كثرت، فكلما زادت حاجته اتسع رزقه، فلا حاجة للحساب، فالحساب حال المحدود، ينقطع أمره كلما زادت حاجته وتوسع عطائه، والله تعالى مطلق في ذاته، ومطلق في غناه، فلا ينفد ما عنده بالنفقة والعطاء، لأنه لا حد لملكه.

بناءً على ما سبق، يُفهم من هذه الآية أن على العباد أن يلجأوا إلى الله في حاجاتهم، ولا يملوا من طلب أي حاجة، ولو عظمت، لأن عطاء الله لا حد له ولا حساب، وهذا المعنى لا يتعارض مع قدر الله في الأمور، ومنها الرزق، لأن قدر كل شيء هو ما تحدده طبيعة الحاجات في تغيراتها تبعًا لتغيرات الحياة والإنسان. وعلى هذا الأساس، يقيس الله رزق الإنسان وفقًا لتغيرات الحاجات وتغيرها، ليجتمع مع حكمته ورحمته.

ولكننا لا نجد لما ذكره العلامة الطباطبائي أي أساس، لأن قضية العوض في هذه الآية لم تطرح لا من الناحية العقائدية ولا من سياق الآية، لأنه لا أساس للحديث عن إعطاء الله للإنسان بلا عوض وبلا استحقاق، لأن هذا أمر بديهي، لأن الله هو الخالق والرازق، وليس للإنسان شيء ذاتي عند الله، بل الأمر يتعلق بسعة عطاء الله، وشمول كرم الله، وعدم نفاد رزقه.

ولعل هذا المعنى يفهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، لأن معنى الجزاء بغير حساب هو الجزاء بغير حد، لأن الله أعطاهم ما لم يؤته أحداً غيرهم، وهذا الجزاء مقابل طاعتهم التي جعل الله لها جزاءً معينا، أي أن الله وإن جعل لهم جزاء معينا فإنه يعطي الصابرين من الجزاء ما لم يعطه أحداً غيرهم (فضل الله، ١٤١٩، ج٥: ٣٠٥).

وهذا القسم يتعلق بالتقييم النقدي للعلامة فضل الله رحمه الله:

١-٤. تقييم النقد:

تباينت آراء المفسرين حول آيات أخرى وردت فيها كلمة ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، كما في قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر: ٤٠)، ففسرها بعض المفسرين بغير استحقاق، كما جاء في تفسير المراغي: «فأولئك يدخلون الجنة و يمتعون بنعيمها بلا تقدير ولا موازنة للعمل بل يجازون أضعافا مضاعفة بلا انقضاء ولا نفاد» (مراغي، دونتا، ج٢٤: ٧٥)[٧].

ولكن يرى بعض المفسرين أن المراد به كثرة الرزق وسعة الرزق لأهل الجنة، كما في تفسير التحرير والتنوير: «قوله: بِغَيرِ حِسابٍ كناية علي سعة الرزق و وفرته كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ﴾ في سورة آل عمران ٣٧» (ابن‌عاشور، ١٤٢٠، ج٢٤: ٢٠٢)[٨].

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. (زمر: ١٠) إذ نظر بعض المفسرين إلى كلا الاحتمالين في معنى الآية[٩].

وقد ورد في سورة آل عمران أيضاً أن زكريا عليه السلام سأل مريم عليها السلام: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ فأجاب: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل‌عمران: ٣٧).

وقد ذهب بعض المفسرين إلى معنى هذه الجملة، على رأي العلامة الطباطبائي بأن «بِغَيرِ حِسَابٍ» لا يمكن أن يكون غير محدود، لأن رزق السيدة مريم عليها السلام لم يكن غير محدود، فـ«بِغَيرِ حِسَابٍ» يعني أن الله تعالى لا يرزق بالحساب والجهد (جوادي آملي، ٢٠١٠، ج١٣: ٦٠٢).

وقد التزم بعض المفسرين أيضاً برأي المرحوم فضل الله الذي قال: «والحساب في قوله: بِغَيرِ حِسابٍ بمعني الحصر لأنّ الحساب يقتضي حصر الشيء المحسوب بحيث لا يزيد ولا ينقص، فالمعنى إنّ اللّه يرزق من يريد رزقه بما لا يعرف مقداره لأنه موكول إلى فضل‌الله» (ابن‌عاشور، ١٤٢٠، ج٣: ٨٩).

وقد ذهب آخرون إلى كلا المعنيين في هذه الآية: «قوله: بغير حساب معناه بغير حساب الاستحقاق علي العمل، لأنه تفضل يبتدئ اللّه به من يشاء من خلقه و يحتمل أن يكون المراد بغير تقتير كما يحسب الذي يخاف الاملاق» (الطوسي، دون‌تا، ج٢: ٤٤٨).

وكذلك الآية: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (ص: ٣٩). يقول العلامة الطباطبائي في شرحه لمعنى هذه الكلمة: والظاهر أن معنى عدم حسابها: أن عطائنا ليس له حساب ولا قدر، فإذا أكثرت منه نقص، فأعط ما شئت. فقال: فَامْنُنْ أو أَمْسِك؛ أعطِ إن شئتَ، أو لا تُعطِ إن لم تُرِد، أي أنهما سواء. سواءٌ أعطيتَ أو لم تُعطِ، فلا أثرَ لنقصان عطائنا.

ولكن قال بعضُ المفسرين: "المعنى: أن عطائنا لك كان على سبيلِ الفضل، لا على سبيلِ مكافأةٍ لك" (الطباطبائي، ١٣٧٤، المجلد ١٧: ٣١٢).

كما هو واضح، فقد استشهد العلامة الراحل بكلا الرأيين في هذه الآية، ثم فضّل نظرية المرحوم فضل الله.

لذا، لا يمكن اعتبار هذه الآيات دليلاً قاطعاً على أيٍّ من الرأيين.

بعد ذكر الآيات التي تتفق مع الآية المذكورة، يبدو أن نظرية المرحوم فضل الله أقرب إلى الصواب، وذلك للأسباب التالية:

١. وردت هذه الجملة بعد بيان قدرة الله، حيث تقول: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ

﴿وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (آل عمران: ٢٦-٢٧) ومما يتصل بهذا المعنى ما ذكره المرحوم فضل الله في معنى هذا الجزء من الآية.

وقد كتب بعض المفسرين في شرح أهمية نزول هذه الآيات على النحو التالي: عندما هم رسول الله ﷺ بحفر الخندق [حول المدينة] في حرب الأحزاب، بناءً على اقتراح سلمان الفارسي، جعل لكل عشرة من أصحابه أربعين ذراعًا لحفره. وكان سلمان رجلاً قويًا، فأراد الأنصار أن يرافقهم في حفر الخندق وقالوا: سلمان منا. لكن المهاجرين أرادوا أن يكون سلمان معهم وقالوا: سلمان منا. لذلك قال النبي ﷺ عبارته الشهيرة: "سلمان منا أهل البيت".

بينما كان سلمان يحفر خندقًا، صادف صخرة لم يُفلح المعول فيها، فأخبر النبي ﷺ بذلك. فأخذ النبي ﷺ المعول من يد سلمان، وهشم الصخرة ثلاث ضربات. فبرزت من الصخرة صاعقة ثلاث مرات، ورأى النبي من داخلها قصور سلاطين إيران والروم واليمن، فقال لأصحابه: "ستغلب أمتي قريبًا على حكومتي كسرى وقيصر". ولما استهزأ المنافقون بهذه النبوءة لنبي الإسلام ﷺ، أنزل الله هذه الآية: "قل يا رب أنت مالك الأمر، تؤتي الأمر من تشاء وتنزعه ممن تشاء، تعز من تشاء وتذل من تشاء" (الكاشاني، دون‌تا، ج٢: ٢٠٠) [١٠].

لدى بعض المعلقين تفسير مثير للاهتمام هنا: «وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ أي لا يعرف الخلق عدده و مقداره و إن كان معلوما عند اللّه ليدلّ علي أنّ من قدر علي تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر علي أن ينزع الملك من العجم ويذلّهم ويؤتيه العرب ويعزّهم» (النسفي، ١٤١٦، ج١: ٢٣١).

يكتب آخرون: «وفي هذا إيماء إلى بشارة للمسلمين بما أخبئ لهم من كنوز الممالك الفارسية و القيصرية و غيرها» (ابن‌عاشور، ١٤٢٠، ج٣: ٧٠).

كما هو واضح، فإن سياق الآيات السابقة ودرجة الوحي التي ذكرها بعض المفسرين في هذه الآية تتوافق مع نظرية سعة عطاء الله، وشمول كرمه، وعدم نفاد رزقه، وعدم إحصائه. ومما تقدم، يتضح أن ما ذكره المرحوم فضل الله، وهو أن مسألة العُوضية بعيدة عن سياق الآية، وأن سياق الآية يدور حول سعة عطاء الله، وشمول كرمه، وعدم نفاد رزقه، يبدو صحيحًا.

٢. ما ذكره العلامة الطباطبائي في نقده لعدم الحساب في تقدير الرزق والآيات التي حددته، والتي تُناقض هذا المعنى، ليس نقداً سليماً؛ لأن عبارة «بِغَيرِ حِسابٍ» تدل على غزارة بحر النعم الإلهية واتساعه، حتى إنه مهما أنعم على أحد فلا يؤثر فيه أدنى أثر، ولا حاجة إلى "المحاسبة"، لأن المحاسبة ضرورية لأن رأس مالها محدود، ويُخشى نقصانه أو نفاده، أما الله، وهو بحر لا ينضب من صفات الكمال والقدرة والغنى، فلا يخشى النقص، ولا يحتاج إلى الحساب، ولا يستحق أحدٌ أن يُحاسب عليه. وهذا المعنى لا يتعارض إطلاقا مع الآيات الدالة على القدر الإلهي والقدر وقدرة الأفراد وفضلهم وحكمة الخلق وتدبيره (مكارم الشيرازي، ١٣٧١، ج ٢: ٤٩٧).

وفقاً لقول آية الله الجوادي؛ فإذا كان القرآن الكريم يذكر للصابرين أجراً بغير حساب ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرونَ أَجرَهُم بِغَيرِ حِسابٍ﴾، أو لجماعة رزقاً بغير حساب ﴿وَيَزيدَهُم مِن فَضلِهِ وَاللَّهُ يَرزُقُ مَن يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ﴾، والتنعّم بغير حساب لبعض أهل الجنة ﴿يُرزَقونَ فيها بِغَيرِ حِسابٍ﴾ لا يعني يوماً مسرفاً وغير مسؤول لأن الله هو الذي يحصي الأشياء، فإن أفعاله في الدنيا والآخرة تكون بالحساب والقياس ﴿إِنّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقناهُ بِقَدَرٍ﴾، وإنما الحساب في هذه الآيات هو الإحصاء، والأجر "بغير حساب" هو ما لا يحصيه أحد إلا الله، وهذا الأجر الذي لا يعد هو لفئة معينة من الناس. آية ﴿فَأُولٰئِكَ يَدخُلونَ الجَنَّةَ يُرزَقونَ فيها بِغَيرِ حِسابٍ﴾ لا تعني دخول الجنة بغير حساب، بل هذه الآية، كغيرها من الآيات، تعتبر رزق الجنة بغير حساب، أي لا يُحصى (جوادي آملي، ١٣٨٩، ج ١٢: ٦٧٣).

وهذا المعنى يعود أيضًا إلى المعنى نفسه الذي ذكره المرحوم فضل الله، إذ يقول في موضع آخر: إن النعم والعطايا الإلهية لا تُحصى. ﴿وَإِن تَعُدّوا نِعمَةَ اللَّهِ لا تُحصوها﴾ (ابراهيم: ٣٤)؛ «ولا يحصي نعماءه العادّون» (نهج البلاغة، الخطبة ١)، لأن الأدوات الرياضية، مهما كانت، محدودة؛ لكن نعمة الله لا حدود لها، حتى للمؤمن. وبالطبع، فإن العناية الإلهية مبنية على الحكمة والحساب ﴿وَكَفى بِاللَّهِ حَسيبًا﴾ (نساء: ٦)؛ ﴿إِنّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقناهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)؛ «... وكلُّ شيءٍ عِندَهُ بِمِقدار» (رعد: ٨) (جوادي آملي، ١٣٨٩، ج١٣: ٦٠١).

لذا، ووفقًا لقاعدة تفسير آيات القرآن الكريم تفسيرًا عامًا، فإن اعتراض العلامة

الطباطبائي هذا لا يصح.

وهنا لا بد من الإشارة إلى ما ذكره المرحوم فضل الله، وهو أنه "لا معنى للحديث عن عطاء الله للإنسان دون عوض ودون استحقاق، فهذا أمر بديهي، لأن الله هو الخالق والرازق، وليس للإنسان شيءٌ خاصٌ به عند الله، وإنما الأمر يتعلق بعظمة عطاء الله، وشمول كرمه، وعدم نفاد رزقه". وهذا لا يبدو صحيحًا تمامًا، لأن بداهة الأمر لا تعني عدم وروده في القرآن الكريم، وكان الأنسب لو اكتفى بسياق الآية وظهورها.

ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من المفسرين يؤمنون بنظرية المرحوم فضل الله. وقد ذكر بعضهم أيضاً نظرية العلامة الراحل الطباطبائي، وذكر بعضهم لهذه الكلمة معاني أخرى غير هذين[١١].

٥. الخاتمة والإستنتاج:

١. كما أن الرزق من الله، فإن بسطه وبسطه بيده، ولذلك يمكن اعتبار أحد جوانب الرزق مرتبطًا بأخذه وبسطه. وقد فُسِّرت آياتٌ كثيرة في القرآن الكريم على وسع الله وقبضه للرزق. وحكمة بسط الرزق أو بسطه، في نظر القرآن الكريم، تعود إلى المصدر.

٢. ليس لعطاء الله حدٌ ولا حساب، وهذا المعنى لا يتعارض مع قدر الله في الأمور، ومنها الرزق، لأن قدر كل شيء هو ما تُحدِّده طبيعة الحاجات في تغيُّراتها، تبعًا لتغيرات الحياة والإنسان. وعلى هذا الأساس، يُقدِّر الله رزق الإنسان وفقًا لتغيرات الحاجات، ليجتمع مع حكمته ورحمته.

٣. الله هو الخالق والرازق، والإنسان ليس له عند الله شيء، بل الأمر يتعلق بعظمة عطاياه، وشمول فضله، وعدم نفاد رزقه. محاسبتهم ضرورية لأن رأس مالهم محدود، ويخشون نقصانه أو زواله، أما الله، وهو بحر لا ينضب من صفات الكمال والقدرة والغنى، فلا يخشى نقصًا، ولا يحتاج إلى حساب، ولا أحد يستحق محاسبته.

٤. ومعنى الجزاء بغير حساب هو الجزاء بغير حد، لأن الله أعطاهم ما لم يعطه أحداً غيرهم، وهذا الجزاء مقابل طاعتهم التي جعل الله لها جزاءً معلوماً، وموضوع

الجزاء بعيد عن سياق الآية، وأن سياق الآية يدور حول سعة عطاء الله، وشمول فضله وكثرته، وعدم نفاد رزق الله يبدو صحيحاً.

هوامش البحث

(١). الصافات: ٤١

(٢). آيات سور: هود: ٨٨، نحل: ٦٧ و ٧٥ و حج: ٥٨

(٣). وهي من سور: الانفال: ٤ و ٧٤، الحج: ٥٠، النور: ٢٦، الاحزاب: ٣١ و السبا: ٤.

(٤). النحل: ٧١

(٥). الطلاق: ٢ و ٣

(٦). الأسراء: ٣٠، العنكبوت: ٦٢، الروم: ٣٧، السبأ: ٣٩ و...

(٧). أنظر أيضاً: ترجمة مجمع‌البيان في تفسير القرآن، ج٢١: ٢٧٠ و أنوار التنزيل و أسرار التأويل، ج٥: ٥٨.

(٨). أنظر أيضاً: تفسير نمونه، ج٢٠: ١٠٧ و روض الجنان و روح الجنان فى تفسيرالقرآن، ج١٧: ٣٣ و تفسير من وحى القرآن، ج٢٠: ٤٦ و...

(٩). أنظر أيضا: مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص: ٤٣١ و التبيان فى تفسير القرآن، ج٩: ١٤ و المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، ج٤: ٥٢٤ و...

(١٠). أيضاً ترجمة تفسير الكاشف، ج٢: ٧٠ والجديد فى تفسير القرآن المجيد، ج٢: ٣٨ وهمچنين تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، ج١: ٢٥٥ وتفسير روح البيان، ج٢: ١٨ والبحر المحيط فى التفسير، ج٣: ٩٠ و...

(١١). الجامع لأحكام القرآن، ج٤: ٥٧ ؛ تفسير القرآن العظيم، ج٢: ٢٤؛ ارشاد الاذهان الى تفسير القرآن: ٥٨؛ محاسن التاويل، ج٢: ٣٠٣؛ تفسير الجلالين: ٥٦ ؛ البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد، ج١: ٣٣٩؛ تفسير نور، ج١: ٤٩٤؛ التبيان فى تفسير غريب القرآن: ١٢١؛ الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، ج١: ٢٠٥؛ تفسير روان جاويد، ج١: ٣٩٦؛ سواطع الالهام فى تفسير القرآن، ج١: ٢٨٢؛ غريب القرآن: ٩٣؛ صفوة التفاسير تفسير للقرآن الكريم، ج١: ١٧٧؛ مواهب عليه: ١١١؛ لباب التأويل فى معانى التنزيل، ج١: ٢٣٧؛ زاد المسير فى علم التفسير، ج١: ٢٧١ و...

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. ابن جوزي، عبدالرحمن بن علي (١٤٢٢ق)، زاد المسير في علم التفسير، بيروت: دار الكتاب العربي

٢. ابن عاشور، محمد طاهر (١٤٢٠ق)، تفسير التحرير و التنوير، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي

٣. ابن عجيبه، احمد (١٤١٩ق)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، القاهرة: نشر حسن عباس زكي
٤. ابن عطيه، عبد الحق بن غالب (١٤٢٢ق)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت: دار الكتب العلمية
٥. ابن فارس، احمد (١٤٠٤ق)، معجم مقاييس اللغة، قم: مكتب الاعلام الاسلامي.
٦. ابن كثير، اسماعيل بن عمر (١٤١٩ق)، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دارالكتب العلمية
٧. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤ق)، لسان العرب، بيروت: دار صادر
٨. ابن هاشم، احمد بن محمد (١٤٢٣ق)، التبيان في تفسير غريب القرآن، بيروت: دار الغرب الإسلامي
٩. ابوالفتوح الرازي، حسين بن علي (١٤٠٨ق)، روض‌الجنان و روح‌الجنان في تفسير القرآن، مشهد: پژوهش‌هاي آستان قدس رضوي
١٠. ابوحيان، محمد بن يوسف (١٤٢٠ق)، البحر المحيط في التفسير، بيروت: دارالفكر.
١١. الآلوسي، محمود بن عبدالله (١٤١٥ق)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، بيروت: دارالكتب العلمية
١٢. باليضاوي، عبدالله بن عمر (١٤١٨ق)، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، بيروت: دار إحياء التراث العربي
١٣. تهانوي، محمدعلي بن علي (١٤٠٤)، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون
١٤. ثقفي تهراني، محمد (١٣٩٨ق)، روان جاويد در تفسير قرآن مجيد، طهران: انتشارات برهان
١٥. الجرجاني، علي بن محمد (١٤٠٨ق)، التعريفات، طهران: ناصر خسرو
١٦. جوادي آملي، عبدالله (١٣٨٩ش)، تفسير تسنيم، قم: موسسه اسراء.
١٧. حجتي، سيد محمدباقر؛ رضايي علي (١٣٨٦ش)، جمع ميان مفهوم مقدر بودن رزق وبا تأثير تلاش و تدبير در جلب رزق، پژوهش‌نامه قرآن و حديث، شماره سوم: ٧-٣٢.
١٨. حقي برسوي، اسماعيل بن مصطفى (دون‌تا)، تفسير روح البيان، بيروت: دارالفكر
١٩. خازن، علي بن محمد (١٤١٥ق)، تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، بيروت: دار الكتب العلمية
٢٠. الخطيب، عبدالكريم (١٤٢٤ق)، التفسير القرآني للقرآن، بيروت: دار الفكر العربي
٢١. السبزواري، محمد (١٤٠٦ق)، الجديد في تفسير القرآن المجيد، بيروت: دار التعارف للمطبوعات
٢٢. السبزواري، محمد (١٤١٩ق)، ارشاد الاذهان إلى تفسير القرآن، بيروت: دارالتعارف للمطبوعات
٢٣. سلطان علي‌شاه، سلطان محمد بن حيدر (١٤٠٨ق)، بيان السعادة في مقامات العبادة، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
٢٤. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (١٤٠٤ق)، الدرالمنثور في التفسير بالمأثور، قم: كتابخانه آيت الله مرعشي نجفي
٢٥. صابوني، محمد علي (١٤٢١ق)، صفوة التفاسير تفسير للقرآن الكريم، بيروت: دارالفكر
٢٦. صادقي تهراني، محمد (١٤٠٦ق)، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنه، قم: انتشارات فرهنگ اسلامي

٢٧. الطباطبايي، محمدحسين (١٣٨١ش)، انسان از آغاز تا انجام، مترجم: صادق لاريجاني، طهران: نشر الزهراء، ط ٣
٢٨. الطباطبايي، محمدحسين (١٣٩٠ق)، الميزان في تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
٢٩. الطباطبايي، محمدحسين (١٣٧٤ش)، ترجمه تفسير الميزان، ترجمة: محمدباقر موسوي، قم: دفتر انتشارات اسلامي حوزه علميه.
٣٠. الطوسي، خواجه‌نصيرالدين (١٣٧٤ش)، آغاز و انجام، طهران: وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي، چاپ چهارم
٣١. الطوسي، محمد بن حسن (بي¬تا)، التبيان في تفسير القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي
٣٢. عصياني، عليرضا (١٣٨٦)، تفسير موضوعي رزق و رزاق از منظر قرآن، قم: انتشارات بوستان دانش.
٣٣. فضل الله، محمد حسين (١٤١٩ق)، من وحي القرآن، بيروت: دار الملاك
٣٤. فيضي، ابوالفيض بن مبارك (١٤١٧ق)، سواطع الالهام في تفسير كلام الملك العلام، قم: دار المنار
٣٥. قاسمي، جمال‌الدين (١٤١٨ق)، تفسير محاسن التأويل، بيروت: دار الكتب العلمية
٣٦. قرائتي، محسن (١٣٨٨ش)، تفسير نور، طهران: مركز فرهنگي درسهايي از قرآن
٣٧. قرطبي، محمد بن احمد (١٣٦٤ش)، الجامع لأحكام القرآن، طهران» ناصر خسرو
٣٨. قمي مشهدي، محمد بن محمدرضا (١٣٦٨ش)، تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب، طهران: وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي
٣٩. كاشاني، فتح‌الله بن شكرالله (دون‌تا)، منهج الصادقين في إلزام المخالفين، طهران: كتابفروشي اسلاميه
٤٠. كاشفي، حسين بن علي (دون‌تا)، تفسير مواهب علّيه، سراوان: انتشارات كتابفروشي نور
٤١. المحلي، محمد بن احمد (١٤١٦ق)، تفسير الجلالين، محقق: عبدالرحمن بن أبي بكر سيوطي، بيروت: مؤسسة النور للمطبوعات
٤٢. المراغي، احمد مصطفى (دون‌تا)، تفسير المراغي، بيروت: دارالفكر
٤٣. مغنيه، محمدجواد (١٤٢٤ق)، التفسير الكاشف، قم: دار الكتاب الإسلامي
٤٤. مكارم الشيرازي، ناصر (١٣٧١ش)، تفسير نمونه، طهران: دار الكتب الإسلامية
٤٥. النسفي، عبدالله بن احمد (١٤١٦ق)، تفسير مدارك التنزيل و حقايق التاويل، بيروت: دار النفائس
٤٦. الواحدي، علي بن احمد (١٤١٥ق)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، محقق: صفوان عدنان، بيروت: دار القلم